تفسير سورةُ الأنْبياءِ
من آية (101) إلى آية (112)
اللقاء الحادي عشر والأخير

المعنى الإجمالي من آية (92) إلى آية (100):

إنَّ مِلَّةَ الإسلامِ أيُّها الناسُ هي مِلَّتُكم الَّتي يَجِبُ أن تكونوا عليها لا تنحرِفونَ عنها، مِلَّةً واحِدَةً غيرَ مختلفةٍ. واللهُ سُبحانَه وتعالى ربُّكم فاعبُدوه -أيُّها النَّاسُ- وَحْدَه لا شَريكَ له. لكِنَّ النَّاسَ تفرَّقوا في الدِّينِ شِيَعًا وأحزابًا، وكُلُّهم راجِعونَ إلينا ومُحاسَبونَ على ما فَعَلوا. فمَن عَمِلَ مِن صالحِ الأعمالِ طاعةً لله وعبادةً له وهو مُؤمِنٌ، فلا يُضِيعُ اللهُ عَمَلَه ولا يُبطِلُه، بل يُثيبُه عليه يومَ القيامةِ، وإنَّا نكتُبُ أعمالَه الصَّالِحةَ كُلَّها، وسيَجِدُ ما عَمِلَه في كتابِه يومَ يُبعَثُ بعدَ مَوتِه.

يَقولُ اللهُ تعالى: ومُمتَنِعٌ على قريةٍ أهلَكْناها بسَبَبِ كُفرِهم وظُلمِهم، أن يَرجِع أهلُها، حتى إذا فُتِحَ سَدُّ يأجوجَ ومأجوجَ، وأقبلوا مِن مُرتَفِعاتِ الأرضِ وانتَشَروا في جَنَباتِها مُسرِعينَ؛ دنا يومُ القيامةِ وبدَتْ أهوالُه، فإذا أبصارُ الكُفَّارِ مِن شِدَّةِ الفَزَعِ مَفتوحةٌ لا تَطْرِفُ، يقولونَ: يا وَيلَنا! قد كُنَّا لاهينَ غافلينَ عن هذا اليَومِ وعن الإعدادِ له، بل كُنَّا ظالِمينَ بكُفرِنا برَبِّنا.

إنَّكم -أيُّها الكُفَّارُ- وما كُنتُم تَعبُدونَ مِن دُونِ اللهِ وَقودُ جَهنَّمَ وحَطَبُها، أنتم وهم فيها داخِلونَ. لو كان هؤلاءِ آلِهةً تَستَحِقُّ العبادةَ ما دخلوا نارَ جهنَّمَ معكم -أيُّها المشرِكونَ. وكُلٌّ مِنَ الآلهةِ الباطِلةِ وعابِديها خالِدونَ في نارِ جَهنَّمَ. لهم فيها زَفيرٌ مِن شِدَّةِ عَذابِهم، وهم في النَّارِ لا يَسمَعونَ؛ مِن هَولِ عَذابِهم.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾﴿101﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال الرازي: أنَّ عادةَ اللهِ تعالى أنَّه متى شَرَح عِقابَ الكُفَّارِ، أردَفَه بشَرحِ ثوابِ الأبرارِ؛ فلهذا السَّبَبِ ذَكَر هذه الآيةَ عَقِيبَ تلك، فلمَّا بَيَّن سبحانَه حالَ هؤلاءِ الأشقياءِ؛ شَرَع في بيانِ حالِ السُّعداءِ

قال البقاعي: وأيضًا فإنَّه لَمَّا ذكَرَ اللهُ تعالى حالَ الكافرينَ وحالَ مَعبوديهم بغايةِ الوَيلِ، كان مَوضِعُ السُّؤالِ عَمَّن عَبَدوهم مِنَ الصَّالحينَ؛ مِن نَبيٍّ أو مَلَكٍ وغَيرِهما مِن جَميعِ مَن عَبَدَه سُبحانَه لا يُشرِكُ به شَيئًا، فقال مُبَيِّنًا أنَّهم لَيسوا مُرادِينَ لِشَيءٍ مِن ذلك، على وَجهٍ يَعُمُّهم وغَيرَهم مِن الصَّالِحينَ: إنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ.

سَبَبُ النُّزولِ: عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((آيةٌ في كِتابِ اللهِ لا يَسألُني النَّاسُ عنها، ولا أدري أعَرَفوها فلا يَسألوني عنها، أم جَهِلوها فلا يَسألوني عنها؟! قيل: وما هِيَ؟ قال: آيةٌ لَمَّا نَزَلَت: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ [الأنبياء: 98] شَقَّ ذلك على أهلِ مَكَّةَ، وقالوا: شَتَمَ مُحَمَّدٌ آلهَتَنا، فقام ابنُ الزِّبَعْرَى فقال: ما شأنُكم؟ قالوا: شَتَمَ مُحَمَّدٌ آلهَتَنا، قال: وما قال؟ قالوا: قال: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ [الأنبياء: 98]، قال: ادعُوه لي، فدُعِيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال ابنُ الزِّبَعْرَى: يا محمَّدُ، هذا شَيءٌ لآلهَتِنا خاصَّةً أم لكُلِّ مَن عُبِدَ مِن دُونِ اللهِ؟ قال: بل لكُلِّ مَن عُبِدَ مِن دُونِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، فقال: خَصَمْناه ورَبِّ هذه البَنِيَّةِ! يا مُحَمَّدُ، ألستَ تزعُمُ أنَّ عيسى عَبدٌ صالِحٌ، وعُزَيرًا عَبدٌ صالِحٌ، والملائِكةَ عِبادٌ صالِحونَ؟ قال: بلى، قال: فهذه النَّصارى يَعبُدونَ عيسى، وهذه اليَهودُ تَعبُدُ عُزَيرًا، وهذه بنو مُلَيحٍ تَعبُدُ الملائِكةَ، قال: فضَجَّ أهلُ مَكَّةَ، فنَزَلَت: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى –عيسى وعُزَيرٌ والملائِكةُ– أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ. قال: ونَزَلت: وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ [الزخرف: 57]، وهو الضَّجيجُ). المحرر الدرر السنية

(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) أي: إنَّ المؤمنينَ الذين سَبَق في عِلْمِنا منذُ الأزَلِ أنَّهم من أهلُ السَّعادةِ بدُخولِ الجَنَّةِ، مُبعَدونَ عن جَهَنَّمَ يومَ القيامةِ، فلا يَدخُلونَها، ولا يَقرَبونَ منها، وإنْ عَبَدَهم بَعضُ المشرِكينَ بغَيرِ رِضاهم واختيارِهم. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [يونس: 26].

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾﴿102﴾

(لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا) أي: لا يَسمَعُ المؤمِنونَ وهم في الجَنَّةِ صَوتَ جَهنَّمَ وإحراقِها الأجسادَ؛ لِبُعدِهم الشَّديدِ عنها. موسوعة التفسير

قال ابنُ عاشور: (جُملةُ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا بيانٌ لمعنى مُبْعَدُونَ، أي: مُبعَدونَ عنها بُعدًا شَديدًا بحيثُ لا يَلفَحُهم حَرُّها، ولا يُرَوِّعهم مَنظَرُها، ولا يَسمَعونَ صَوتَها، والصَّوتُ يَبلُغُ إلى السَّمعِ مِن أبعَدِ ممَّا يبلُغُ منه المرئيُّ. والحسيسُ: الصَّوتُ الذي يبلُغُ الحِسَّ، أي: الصَّوتُ الذي يُسمَعُ مِن بَعيدٍ، أي: لا يَقرَبونَ مِنَ النَّارِ، ولا تَبلُغُ أسماعَهم أصواتُها، فهم سالِمونَ مِنَ الفَزَعِ مِن أصواتِها، فلا يَقرَعُ أسماعَهم ما يُؤلِمُها).

(وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ) أي: والمؤمِنونَ فيما تَشتَهيه أنفُسُهم مِن نَعيمِ الجَنَّةِ ماكِثونَ، لا يخافونَ زَوالًا عنه، ولا انتِقالًا منه. موسوعة التفسير

قال النبي صلى الله عليه وسلم:"إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فيها ويَشْرَبُونَ، ولا يَتْفُلُونَ ولا يَبُولونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ ولا يَمْتَخِطُونَ قالوا: فَما بالُ الطَّعامِ؟ قالَ: جُشاءٌ ورَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ، كما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ. وفي رواية: بهذا الإسْنادِ إلى قَوْلِهِ: كَرَشْحِ المِسْكِ". صحيح مسلم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يُنادِي مُنادٍ: إنَّ لَكُمْ أنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَحْيَوْا فلا تَمُوتُوا أبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَنْعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أبَدًا فَذلكَ قَوْلُهُ عزَّ وجلَّ: (وَنُودُوا أنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[الأعراف: 43]. صحيح مسلم

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾﴿103﴾

(لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ) أي: لا يَحزُنُ المؤمنينَ الفزعُ الأكبَرُ يَومَ القيامةِ عِندَ النَّفخِ في الصُّورِ للحَشرِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) [النمل: 87].

وقال سُبحانَه: (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) [الإنسان: 11].

(وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) أي: ويَستَقبِلُ الملائِكةُ المؤمِنينَ يَومَ القيامةِ، فيُهَنِّئونَهم ويُبَشِّرونَهم برَحمةِ اللهِ، ونَيْلِ كرامتِه؛ يقولونَ لهم: هذا اليومُ الحاضِرُ هو اليَومُ الذي كُنتُم في الدُّنيا تُوعَدونَ أن يُثيبَكم اللهُ فيه على قيامِكم بطاعتِه. موسوعة التفسير

قال الشِّنقيطي: (قيل: تَستَقبِلُهم على أبوابِ الجَنَّةِ بذلك. وقيل: عندَ الخروجِ مِن القبورِ).

كما قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) [فصلت: 30 - 32].

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾﴿104﴾

(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ) أي: لا يَحزُنُهم الفَزَعُ الأكبَرُ في ذلك اليَومِ الذي نَطْوي فيه السَّمواتِ كما تُطوى الصَّحيفةُ على الكَلامِ المكتوبِ فيها. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) [الزمر: 67].

(كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ) أي: كما قدَرْنا على إيجادِ الخلقِ أوَّلَ مرةٍ، كذلك نقدرُ على إعادتِهم، فنبعثُهم أحياءً مِن قبورِهم، ونحشرُهم على مِثلِ هَيئَتِهم حينَ خَرَجوا مِن بُطونِ أُمَّهاتِهم؛ حُفاةً، عُراةً، غَيرَ مَختونينَ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ) [الأنعام: 94].

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّكم مَحشورونَ حُفاةً عُراةً غُرْلًا ، ثمَّ قرأ: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)). رواه بخاري

والإيمان بالبعث والجزاء من أعظم أصول الإيمان، فإنَّ الله تعالى يجمَع بقُدرته ما تفرَّق من أجساد الأموات التي تحلَّلتْ، ثم يعيدُها كما كانت، ثم يعيدُ الأرواح إليها، ثم يشقُّ الأرضَ عنها، ثم يسوقُها إلى المحشر؛ للقضاء بينهم بالحق وجَزائهم على أعمالهم.

يَنفُخُ إسرافيلُ عليه السَّلامُ نَفختَيْنِ؛ نَفخةَ الصَّعْقِ التي تَموتُ الخلائقُ عندها، ونَفخةَ البَعْثِ التي يَحْيَون عندها.

وأهل القبور والموتى يبقون بعد النفخة التي فيها الصَّعقة وقبل نفخة البعث أربعين، وَعَنْ أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: "ما بيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أرْبَعُونَ، قالُوا يَا أبَا هُرَيْرَةَ، أرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أبَيْتُ، قالُوا: أرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أبَيْتُ. قَالُوا: أرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أبَيْتُ، قالَ: ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ البَقْلُ، ليسَ مِنَ الإنْسانِ شَيءٌ إلَّا يَبْلَى، إلَّا عَظْمًا واحِدًا، وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، ومِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَومَ القِيامَةِ" صحيح البخاري.

فإذا أراد الله بعْث الخلائق أنزَل من السماء ماءً – جاء في بعض الروايات صفته أنَّه كمَنِيِّ الرِّجال . فينبت أهلُ القبور من ذلك الماء، فإذا تَمَّ خلقهم نفخ في الصُّور النفخة الثانية، فطارت أرواحُهم إلى أجسادهم، وانشقَّت الأرضُ عنهم، فخرَجُوا من قُبورهم سِراعًا: (خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) [القمر: 7، 8].

(وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) أي: وَعَدْناكم ذلك وَعدًا حَقًّا علينا أنْ نَفِيَ به، فمِن شأنِنا أنَّنا نفعلُ ما نريدُ، وسنفعلُ ما وعَدْنا به لا محالةَ. موسوعة التفسير

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾﴿105﴾

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) أي: ولقَدْ كَتَبْنا في جميعِ الكُتُبِ المنَزَّلةِ مِن السماءِ بعدَ اللوحِ المحفوظِ الذي كتَب اللهُ فيه كلَّ ما هو كائنٌ أنَّ الأرضَ يَرِثُها عبادِيَ العامِلونَ بطاعَتي، الذين قاموا بالمأموراتِ، واجتَنَبوا المنهيَّاتِ. موسوعة التفسير

قال الشيخ ابن عيمين رحمه الله: وكتابة الله تعالى نوعان: كتابة قدرية، وكتابة شرعية.

الكتابة القدرية لا بد أن تقع، والكتابة الشرعية قد تقع من بني آدم وقد لا تقع. مثال الأول: قول الله تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) فهذه كتابة قدرية.

ومثال الثاني: قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ) أي كتب كتابة شرعية.

كما قال تعالى: إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [الأعراف: 128].

وقال سُبحانه: (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [المؤمنون: 10، 11].

وقال عزَّ وجلَّ: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ...) [النور: 55].

وقال سُبحانه وتعالى: (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [الزخرف: 72].

وعن ثَوبانَ رَضِيَ الله عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((إنَّ اللهَ زَوى لِيَ الأرضَ، فرأيتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها، وإنَّ أُمَّتي سيَبلُغُ مُلكُها ما زُوِيَ لي مِنها)).رواه مسلم

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: أنَّ أرضَ الشامِ كُتِبتْ للصَّالحينَ، ورِثها بنو إسرائيلَ مِن الجبَّارينَ؛ لأنَّهم كانوا أهلَ الحقِّ، ثم ورِثها النَّصارَى مِن اليهودِ؛ لأنَّهم أهلُ الحقِّ، ثم ورِثها المسلمون مِن النَّصارَى؛ لأنَّهم أهلُ الحقِّ. وعلى هذا فاليهودُ الآنَ لا حقَّ لهم في فلسطينَ ولا غيرِها مِن أرضِ الله، ليس لهم حقٌّ في الأرضِ أبدًا –لا هم، ولا أي كافرٍ–؛ لأنَّ الأرضَ إنَّما يستحقُّها عبادُ الله الصالحونَ –وذلك على قولٍ في تفسيرِ الآيةِ–، لكن إن صلحَ المسلمونَ ورجَعوا إلى دينِهم الحقيقيِّ –الذي يُورثُهم الله به أرضَه– فإنَّنا نجزمُ جزمًا بأنَّهم سوف يَسترجِعون الأرضَ؛ قال تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ [النور: 55]، لكن ما دام المسلمونَ على هذا الوصفِ؛ فإنَّه حسَبَ القواعدِ الشرعيَّةِ والنُّصوصِ لا يستحقُّون النصرَ؛ لأنَّهم لم يقوموا بجهادِ أنفسِهم؛ فكيف يقومونَ بجهادِ غيرِهم ليُدخِلوه في الإسلامِ؟! الآنَ أقيموا الإسلامَ فيما بيْنَكم؛ أقيموا دينَ الله فيما بينَكم؛ ثم بعد ذلك سوف ينصرُ الله دينَه إذا قُمْتُم به؛ لأنَّ الله لا ينصرُ فلانًا لأنَّه فلانٌ! أو ينصرُ هذه الطائفةَ لأنَّهم عربٌ! أو ينصرُ هذه الطائفةَ لأنَّهم فُرسٌ! بل ينصرُ مَن قام بهذا الدينِ.

﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾﴿106﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال البقاعي: لَمَّا كان ما ذُكِرَ في هذه السُّورةِ مِن الحِكَمِ والدَّلائِلِ والقَصَصِ، واعِظًا شافِيًا حَكيمًا، ومُرشِدًا هادِيًا عَليمًا؛ قال واصِلًا بما تقَدَّمَ؛ إشارةً إلى أنَّه نتيجتُه:

(إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ) أي: إنَّ في هذا القرآنِ الذي أنزَلْناه على نبيِّنا محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم لَكفايةً؛ يَتبلَّغونَ به في الوصولِ إلى بُغْيَتِهم مِن خيرِ الدُّنيا والآخرةِ لِقَومٍ دَيدَنُهم وشَأنُهم القيامُ بعِبادةِ اللهِ بما شَرَعَ. موسوعة التفسير

قال ابن كثير: إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا اسم الإشارة راجع إلى القرآن.

د خالد السبت: المقصود بالبلاغ الكفاية، وخص العابدين بالذكر؛ لكونهم يحصل لهم البلاغ والكفاية، وإلا فالقرآن فيه بلاغ للعالمين لو أنهم أقبلوا عليه وانتفعوا به، وقد قال الله –تبارك وتعالى– عن القرآن: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) [سورة البقرة:2] مع أنه هدى للجميع، لكن لما كان المتقون هم المنتفعون به خصهم بذلك.

قال السعدي: فليس للعابِدينَ الذين هم أشرَفُ الخَلقِ وراءه غايةٌ؛ لأنَّه الكَفيلُ بمَعرفةِ رَبِّهم بأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه، وبالإخبارِ بالغُيوبِ الصَّادِقةِ، وبالدَّعوةِ لحقائِقِ الإيمانِ، وشواهِدِ الإيقانِ؛ المبَيِّنُ للمأموراتِ كُلِّها، والمنهيَّاتِ جميعًا، المعَرِّفُ بعُيوبِ النَّفسِ والعملِ، والطُّرُقِ التي ينبغي سلوكُها في دقيقِ الدِّينِ وجَليلِه، والتَّحذيرِ مِن طُرُقِ الشَّيطانِ، وبيانِ مَداخِلِه على الإنسانِ، فمَن لم يُغْنِه القرآنُ فلا أغناه اللهُ، ومَن لا يَكفيه فلا كفاه الله.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾﴿107﴾

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) أي: وما أرسَلْناك -يا مُحَمَّدُ- إلَّا رَحمةً لِجَميعِ الخَلقِ. موسوعة التفسير

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قيل: يا رَسولَ اللهِ، ادْعُ على المشرِكينَ، قال: إنِّي لم أُبعَثْ لعَّانًا، وإنما بُعِثْتُ رَحمةً)) رواه مسلم.

وقال ابنُ جُزي: (المعنى...: أنَّ اللهَ رَحِمَ العالَمينَ بإرسالِ سَيدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم؛ لأنَّه جاءهم بالسَّعادةِ الكبرى، والنَّجاةِ مِن الشَّقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيراتِ الكثيرةَ في الآخرةِ والأولى، وعَلَّمَهم بعد الجَهالةِ، وهداهم بعد الضَّلالةِ).

قال ابنُ عاشور: (وتفصيلُ ذلك يظهَرُ في مَظهَرينِ: الأوَّلُ: تَخَلُّقُ نَفْسِه الزَكيَّةِ بخُلُقِ الرَّحمةِ، والثاني: إحاطةُ الرَّحمةِ بتَصاريفِ شَريعتِه).

قال كثير: "يخبر تعالى أن الله جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم كلهم فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ومن ردها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة".

قال ابن تيمية رحمه الله : على الإنسانِ أن يكونَ مَقصودُه نَفعَ الخَلقِ، والإحسانَ إليهم مُطلَقًا، وهذا هو الرَّحمةُ التي بُعِثَ بها محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في قَولِه: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، والرَّحمةُ يحصُلُ بها نَفعُ العِبادِ؛ فعلى العَبدِ أن يَقصِدَ الرَّحمةَ والإحسانَ والنَّفعَ، لكِنْ للاحتياجِ إلى دَفعِ الظُّلمِ شُرِعَت العُقوباتُ، وعلى المقيمِ لها أن يَقصِدَ بها النَّفعَ والإحسانَ، كما يَقصِدُ الوالِدُ بعُقوبةِ وَلَدِه، والطَّبيبُ بدواءِ المريضِ، والمقصودُ بهذه النُّكتةِ أنَّ الدِّينَ والشَّرعَ لم يأمُرْ إلَّا بما هو نَفعٌ وإحسانٌ ورَحمةٌ للعبادِ، وأنَّ المؤمِنَ عليه أن يَقصِدَ ذلك ويُريدَه، فيكونَ مَقصودُه الإحسانَ إلى الخَلقِ ونَفْعَهم، وإذا لم يَحصُلْ ذلك إلَّا بالإضرارِ ببَعضِهم، فعَلَه على نيَّةِ أن يدفَعَ به ما هو شَرٌّ منه، أو يحصُلَ به ما هو أنفَعُ مِن عَدَمِه.

فالقِصاصُ والحُدودُ شِدَّةٌ على الجُناةِ، ورَحمةٌ ببَقيَّةِ النَّاسِ.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾﴿108﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال الشوكاني لما قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ؛ بَيَّن سبحانَه أنَّ أصلَ تلك الرَّحمةِ هو التَّوحيدُ والبراءةُ مِن الشِّركِ.

(قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) أي: قُلْ -يا مُحَمَّدُ- للمُشرِكينَ: إنَّما يُوحي اللهُ إليَّ أنَّما مَعبودُكم مَعبودٌ واحِدٌ لا شَريكَ له في العِبادةِ، فهل أنتم مُستَسلِمونَ لِتَوحيدِ اللهِ، مُنقادونَ لِطاعتِه وعِبادتِه وَحْدَه بعدَ هذا البَيانِ. موسوعة التفسير

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾﴿109﴾

(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ) أي: فإنْ أعرَضَ النَّاسُ عن الإسلامِ، فقُلْ لهم -يا مُحَمَّدُ: أعلَمْتُكم ببَراءتي منكم وبراءتِكم مِنِّي، وأنَّه لا صُلحَ بيننا، ولا سِلْمَ، فاستَوَينا جميعُنا في العِلمِ بذلك. موسوعة التفسير

وقال السعدي: (فَقُلْ آذَنْتُكُمْ أي: أعلمْتُكم بالعقوبةِ عَلَى سَوَاءٍ أي: علمي وعلمُكم بذلك مستوٍ، فلا تقولوا -إذا أُنزِل بكم العذابُ: ما جاءنا مِن بشيرٍ ولا نذيرٍ، بل الآنَ استوَى علمي وعلمُكم، لما أنذَرْتُكم، وحذَّرْتُكم، وأعلمتُكم بمآلِ الكفرِ، ولم أكتُمْ عنكم شيئًا).

(وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ) أي: وما أدري أقريبٌ زَمَنُ وُقوعِ ما وعَدَكم اللهُ به من العَذابِ، أم هو بَعيدٌ. موسوعة التفسير

قال البقاعي: (... فقال: وَإِنْ أي: وما أَدْرِي أَقَرِيبٌ جِدًّا بحيث يكونُ قُربُه على ما تتعارَفونَه أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ مِن عذابِ اللهِ في الدُّنيا بأيدي المسلِمينَ أو بغيرِه، أو في الآخرةِ، مع العلمِ بأنَّه كائِنٌ لا محالةَ، وأنَّه لا بدَّ أن يلحَقَ مَن أعرض عن اللهِ الذُّلُّ والصَّغارُ).

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾﴿110﴾

(إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ) أي: لكنَّ عَذابَكم واقعٌ لا مَحالةَ؛ لأنَّ اللهَ يَعلَمُ ما يَجهَرُ به عِبادُه مِن أقوالِهم، ويَعلَمُ ما تُخفونَه -أيُّها المشرِكونَ- وسيُجازيكم على ذلك عاجِلًا أو آجِلًا. موسوعة التفسير

قال البيضاوي: (إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ ما تجاهِرونَ به من الطَّعنِ في الإسلامِ. وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ مِنَ الإِحَنِ والأحقادِ للمُسلِمينَ، فيُجازيكم عليه).

قال الرازي: المقصودُ منه الأمرُ بالإخلاصِ، وتَركُ النِّفاقِ؛ لأنَّه تعالى إذا كان عالِمًا بالضَّمائرِ، وجَبَ على العاقِلِ أن يُبالِغَ في الإخلاصِ.

كما قال تعالى: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) [المائدة: 99].

وقال سُبحانَه: (وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) [طه: 7].

وقال تبارك وتعالى: (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [الملك: 13].

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾﴿111﴾

(وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) أي: قُلْ -يا مُحَمَّدُ- لهم: فإنْ تأخَّرَ عذابُكم، فما أدري سَبَبَ ذلك وحِكمَتَه، لكنْ لعَلَّه فِتنةٌ لكم، فتزدادُ سَيِّئاتُكم، وتتمَتَّعونَ قَليلًا في حياتِكم إلى وَقتٍ مُعَيَّنٍ، ثمَّ يأتيكم العَذابُ. موسوعة التفسير

إذا رأينا الفساق أو الكفار تيسرت أمورهم؛ فهو استدراج من الله؛ ففي الحديث: "إذا رأيتَ اللهَ يُعطي العبدَ من الدنيا على مَعاصيه ما يُحِبُّ فإنما هو اسْتدراجٌ ثم تلا، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ). رواه أحمد

قال -ﷺ-:"إذا أرادَ اللَّهُ بعبدِه الخيرَ عجَّلَ لَه العقوبةَ في الدُّنيا، وإذَا أرادَ اللَّهُ بعبدِه الشَّرَّ أمسَك عنهُ بذنبِه حتَّى يوافيَ بِه يومَ القيامة".صحيح الترمذي

كما قال تعالى: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) [آل عمران: 178].

وقال سُبحانَه: (مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) [آل عمران: 197].

﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾﴿112﴾

(قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ) أي: قال مُحَمَّدٌ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ داعيًا رَبَّه: يا رَبِّ، افعَلْ ما تنصُرُ به عبادَك، وتَخذُلُ به أعداءَك. موسوعة التفسير

الحُكمُ نَوعانِ: حُكمٌ كَونيٌّ، وحُكمٌ دِينيٌّ، ومِنَ الحُكمِ الكَونيِّ قَولُ اللهِ تعالى: قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ، ومعنى الآيةِ هنا: افعلْ ما تَنْصُرُ به عبادَك، وتخذُلُ به أعداءَك، وأمَّا الحُكْمُ الدِّينيُّ فكَقولِه سُبحانَه: ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ [الممتحنة: 10].

(وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) أي: وربُّنا المتَّصِفُ بالرَّحمةِ الواسِعةِ هو وَحْدَه الذي نَطلُبُ منه العَونَ عليكم -أيُّها المشرِكونَ- على ما تَفتَرونَه عليه وعلى رَسولِه مِن الوَصفِ الباطِلِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى حكايةً عن يَعقوبَ عليه السَّلامُ: وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ [يوسف: 18].

وعد الله -عز وجل- المؤمنين بالنصر فقال عز وجل: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الروم: 47]، نصر العزة، والتمكين في الأرض، وجعل الدولة للإسلام، فما فارق النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- الدنيا حتى حكم الإسلام جزيرة العرب، ثم فتح أصحابه رضي الله عنهم من بعده البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، حتى استنار أكثر المعروف من الأرض بدعوة الإسلام، وهذا النصر ليس مقصوراً على نصر التمكين، ولكن النصر له صور مختلفة، منها أن يهلك الله -عز وجل- الكافرين والمكذبين، وينجي رسله وعباده المؤمنين. قال -عز وجل- حاكياً عن نوح -عليه السلام-: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ

فَانْتَصِرْ)، وهو نصر العقيدة والإيمان، وهو أن يثبت المؤمنون على إيمانهم، وأن يضحوا بأبدانهم حماية لأديانهم، وأن يؤثروا أن تخرج أرواحهم ولا يخرج الإيمان من قلوبهم، فهذا نصر للعقيدة ونصر للإيمان، كما الغلام في قصة أصحاب الأخدود، من أنواع انتصار المؤمنين: وهو أن يحمي الله -عز وجل- عباده المؤمنين من كيد الكافرين، وجاء في السيرة المباركة كيف عصمه الله -عز وجل- من الرجل الذي رفع عليه السيف وقال: من يعصمك مني؟ فقال: "الله" فارتجف الرجل وسقط السيف من يده، وقصة الشاة المسمومة التي أنطقها الله -عز وجل- وأخبرت النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنها مسمومة، وقصة إجلاء بني النضير، ونزول جبريل وميكائيل يوم أحد يدافعان عن شخص النبي، ومن النصر الذي ينصر الله -عز وجل- به عباده المؤمنين وهو نصر الحق وكما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك".

انتصر الإسلام لما وجد الرجال الذين يقومون به ويضحون من أجله، والله -عز وجل- يقول: (وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) [الصافات: 173]، فإذا كنا جنداً لله -عز وجل- فلا بد أن ينصرنا الله -عز وجل-.

النصرُ آتٍ لا محالة، لكنَّ له أسباباً وسُنُناً: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [النور:55].

يبدأُ النصرُ من تغيير الناسِ ما بأنفسِهم حتى يُغيرَ اللهُ -عز وجل- ما بأرضِهِم ويُمَكِّنَ لهم، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الرعد:11].

عاش سلفُنا الصالح حياةً عزيزةً، مهيمنةً قويةً، متملكةً لزمامِ العالمِ أجمع، عاشوا حياةَ التمكين، تلك الحياةُ التي تُتبع ولا تَتْبَع، وتقودُ ولا تُقاد، فلما غَيَّرَ الناسُ مِنْ بَعدِهِم ما بأنفُسِهِم غَيَّرَ اللهُ حالَهم فعاشُوا حياةَ الضعفِ والانحسار، وفُقْدَانِ الثقةِ الذاتية، وسَعَوا لتحقيقِ الذاتِ واستمدادِ العزةِ من المناهجِ والقِيَمِ الغربيةِ، زعموا!.

ألا إنَّ حالَنا اليوم لن يتغير حتى نُغيرَ ما بأنفسنا، فَنُنَقِي واقِعَنا من البدعِ والشركِ في شتى أنواعِهِ وصُورِه، ومن التبعيةِ الغربيةِ النابِعةِ من انحسارِ الإيمان، وفُقدانِ الثقةِ في مصدرِ عزنا.

نُغيرُ ما بأنفسنا بمحو آثارِ المعاصي والفجور التي لَبِسَت ثَوبَ المباح تارة، وثوبَ التقدمِ والرقيِّ تارةً أُخرى، وخلعت لباسَ التقوى والعزةِ والورعِ والكرامة.

لن يَتغيرَ حالُنا حتى نُفْرِدَ اللهَ بالحبِ والخوفِ والإنابةِ، والتلقِّي والتَّوَجُّه، ونُجَرِّدَ الولاءَ له ولدينِه ولرسولِه وللمؤمنين.

ولن يتغير حالُنا حتى تمتلئ النفوسُ شعوراً باستعلاءِ الإيمان، وثقةً بهيمنةِ كتابنا القرآن، وأنه نَبْعُ العزّ والتمكين.

وإذا لم يُغيرِ الناسُ ما بأنفسِهم فإن النصرَ قادمٌ بعد أن يستبدِلَهُمُ اللهُ بجيلٍ يُحِبُّهُم ويحبونه، أذلةٍ على المؤمنين، أعزةٍ على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم، يحققون أسبابَ النصرِ والتغيير فيشرِفُهُمُ اللهُ بنصرِهِ المبين، ويدفعُ بهم فسادَ المفسدين، ويعذبُ بأيديهم قوماً كافرين، قال تعالى: (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) [محمد:38]

قد يتأخرُ النصرُ لحكمةٍ يريدُها اللهُ تعالى، ليعلمَ الصادقَ من الكاذب، وليميزَ الخبيثَ من الطيب، ولينكشفَ زيفُ الباطلِ للناس، ولِتتهيأَ البيئةُ لَقَبُولِ الحق والعدل، قد يتأخرُ النصرُ؛ لتزيدَ الأمةُ المؤمنةُ صِلَتَها بالله، وهي تعاني وتتألمُ وتَبْذل، ولا تجدُ لها سنداً إلا الله، ولا مُتوجَّهاً إلا إليه وحدَه، فتستقيمُ على النهجِ بعد النصرِ حين يأذن اللهُ به، فلا تطغى ولا تنحرفُ عن الحق والعدل والخير الذي نَصَرَها اللهُ به".

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) [البقرة:214].

التحاكُم إلى شرعِ الله، والاهتداءُ بوحيِه، ونبذُ كُلِّ ما يُخِلُّ به ويخدِشُ كَمَالَه، ونصرةُ دينِ اللهِ، والقيامُ به قولاً وعملاً واعتقاداً ودعوةً، مع إقامةِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، من أعظمِ أسبابِ النصر والتمكين، قال تعالى: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) [الحج:40-41].

ومن وسائلِ النصرِ وأسبابِه: الإخلاصُ لله تعالى، وابتغاءُ مرضاتِه، والصدقُ في طلبِ النصرِ والعزة.

ومن وسائل النصرِ وأسبابِه: التوكلُ على اللهِ، والالتجاءُ إليه، واليقينِ بأنه وحدَهُ الناصرُ المعزُّ دونَ سواه.

ومن أسباب النصرِ ومتطلباتِه: الصبرُ والاحتساب، وفي وصيةِ النبي -صلى الله عليه وسلم- لا بن عمِه عبدِ الله بنِ عباس -رضي الله عنه-: "وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا".

اللهم أعز الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداءَ الدين، اللهم انصر عبادَك المسلمين في كل مكان، اللهم انصرهم نصراً مؤزراً، على عدوك وعدوهم، اللهم ولِّ عليهم خيارهم، واكفهم شر أشرارهم.

اللهم انصر إخواننا، المستضعفين في كل مكان، اللهم كن لهم عوناً وظهيراً، اللهم كن لهم مؤيداً ونصيراً، اللهم عجّل فَرَجَهُم وارفعِ البلاء، واكشفِ الغُمَّةَ عنهم.

النصر والتمكين ياسر الطريقي

وكان حقا علينا نصر المؤمنين: أحمد فريد